الشيطان ـأعاذنا الله منهـ في الأديان
(مع بيان لنماذج من تأثيراته في واقعنا المعاصر)

محمد اوحيدة أحمد اوحيدة
أستاذ مشارك، الأكاديمية الليبية، مصراتة ـ ليبيا، Iwhida63@gmail.com

استلمت الورقة بتاريخ 2021/07/25م
وقبلت بتاريخ 2021/12/06م
ونشرت بتاريخ 2021/12/12م

الكلمات المفتاحية:
الشيطان-أعاذنا الله منه-.
الأديان.
تأثيرات.
واقع معاصر.

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى إثارة تساؤلات جوهرية حول مدى تأثيرات الشيطان –أعاذنا الله منه- في أحوال الناس والمجتمعات، وإسقاط هذه التأثيرات على الحالة الليبية؛ فالشيطان – أعاذنا الله منه- منذ أن طرده الله سبحانه وتعالى من رحمته؛ بسبب رفضه لأمره عز وجل بالسجود لآدم -عليه السلام-، وهو يتربص ببني آدم ويستخدم الشيطان اللعين في سبيل تحقيق أهدافه أساليب متعددة منها؛ بث الذعر والهلع، وإشاعة الفتن والمكائد، ونشر المعاصي والرذائل.

وليصبح الإنسان خاضعا وتابعا له؛ فإنه يبدأ بالأماني والأحلام والتطلعات، ثم يعد بالغنى والثراء والرفاهية، ثم يصل إلى غايته الكبرى في إشعال العداوات والصراعات والحروب، وإيقاع الناس في الخلافات الاجتماعية، والصراع الداخلي، والحروب الخارجية، وهذا ما يهدف إليه البحث وهو أن ما نعيشه من مآسٍ وكوارثَ في واقعنا المعاصر يعود في غالبه إلى غواية الشيطان وإضلاله بسبب ضعف الإيمان، والأطماع في زخرف الدنيا وزينتها.

وخلص البحث إلى نتائج أبرزها؛ إن تأثير وساوس الشيطان وغواياته في كل ما يدور في واقعنا أمر جلي واضح من خلال ما نعايشه من مواقف وأحداث على الصعد كافة، وإن المبالغة في قدرات الإنسان على تغيير نفسه ومحيطه، والنظرة المثالية للحياة بالحسابات المادية، ونسيان أو تجاهل غواية الشيطان يضعف قدرة الإنسان على فهم الحياة والتعامل معها كما أرادها الله جلت قدرته.

مقدمة

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين حمداً نتضرع به إلى الله سبحانه وتعالى؛ ليشملنا برحمته، ويحفظنا من شر الشيطان اللعين ووساوسه وفتنه وأذاه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الصادق الأمين الذي حصَّن أمته بهديه وإرشاده ونُصحه، وعلى آل بيته وصحبه الأخيار الطيبين، ومن تبعه وسار على نهجه إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

إن الشيطان –أعاذنا الله منه- منذ أن طرده الله سبحانه وتعالى من رحمته، ولعنه بسبب رفضه لأمره عز وجل بالسجود لآدم عليه السلام وهو يتربص ببني آدم؛ فهو يجري مجرى الدم في عروقهم، ولقد أقسم الشيطانُ بعزة الله تعالى على غواية وإضلال الإنسان؛ ويحاول دائما بشتى الوسائل ومختلف الأساليب أن يسيطر على الإنسان عن طريق الوسوسة؛ فالوسوسة أصل الشرور وأشدها ضررا، وهي بداية ضعف الإرادة في الإنسان؛ فإن قلب الإنسان يكون في الأساس كما خلقه سبحانه وتعالى نقيا صافيا مجبولا على عبادة الله وحده، فيوسوس إليه الشيطان، وتصبح هذه الوسوسة هي المحرك للإرادة، ثم لاتقف الأمور عند هذا الحد؛ بل إن الشيطان يزين له الرذائل، ويبعده عن الفضائل، فيظل الإنسان لا يتلذذ إلا بالآثام والمعاصي حتى تصبح إرادته مسلوبة.

وبالتأمل في سياق الحديث عن الشيطان الرجيم –أعاذنا الله منه- في القرآن الكريم، نجد أن آيات كثيرة بينت مكائد الشيطان الرجيم، وأوضحت طرق إضلاله وإغوائه، وأنه يسلط عداوته على الإنسان بلا هوادة ولا رحمة، ويتعامل بكل مكر وخداع، فهو لا يهجم على الإنسان بشكل مباشر؛ بل يتدرج للوصول إلى هدفه، ويتلمس مواطن الضعف في الإنسان، ويحاول الدخول من أبوابها؛ فإن وجد فيه قوة في دينه أتاه من جانب الأمور الدنيوية المباحة، وحرّضه على الإكثار منها ليضيّع عليه كثيراً من الطاعات والقربات، ثم يستمر في الغواية والتحريض حتى يجعل الإنسان يتهاون في أداء السنن والنوافل، وإن وجد في الإنسان غلوا وميلا شديدا نحو التطرف في جانب من الجوانب حبب إليه كل ما يساعد على ذلك، وإن وجد في الإنسان تفريطا في الواجبات، وانهماكاً في المحرمات، فهنا يجد الفرصة سانحة حتى يبعده عن أداء الفرائض والواجبات، بل ويحرّضه على الإكثار من المعاصي والآثام.

وأود الإشارة إلى أن فكرة وبداية كتابة هذا البحث جاءت من رحم المعاناة التي عاصرناها وعاشتها ليبيا إبان الاقتتال الداخلي بين الليبيين عامي 2019 و2020م، والتي بحمد الله انتهت، ونسأل الله أن يكون هذا الاقتتال آخر صراع ونزاع وحرب.

أولا: أهمية البحث:

يستخدم الشيطان اللعين في سبيل تحقيق أهدافه أساليب متعددة في سبيل إضلال الناس، ولا يكتفي الشيطان بإضلال الإنسان فحسب؛ بل يتبعه بتزيين الباطل وتحبيبه، والأدهى أنه لا يدع فرصة لتأنيب الضمير، أو مراجعة السلوك، وإنما يسعى أن يجعل الإنسان مطمئنا مع ما يرتكبه من أفعال، ولا يشعره بأي نفور أو عدم رضى، أو أن ما يقوم به من آثام فيه معصية لله –عز وجل- أو أنه مخالف للفطرة السليمة والعقل السليم؛ ذلك إن الشيطان اللعين لا يمتلك الإرادة الخاصة لفعل الشر، ولكن فعله هو نتيجة لضعف إرادة الإنسان أمام الشر والغواية والإغراء، ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث في الربط بين أصل الشرور كلها وهو الشيطان الرجيم، وبين ما نعيشه من مآسٍ وكوارث في واقعنا المعاصر.

أسباب اختيار موضوع البحث:

الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع:

1/ شكر الله سبحانه وتعالى قولا وعملا الذي علّمني ما لم أكن أعلمْ بإظهار عظمة شرعه، وتسهيل الوصول إلي أحكامه بإبراز القضايا المعاصرة وتأصيلها وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية.

2/ الإسهام في معالجة الأوضاع المتطورة، والمشكلات المتجددة، في ضوء ما جاء في الشريعة الإسلامية من أحكام تثبت صلاحياته في كل زمان ومكان.

3/ إنارة الطريق وإثراء المعرفة في التعريف بخطورة وساوس الشيطان –أعاذنا الله منه- وأثرها على الأفراد والمجتمعات.

ثانيا: إشكال البحث:

يحاول البحث الإجابة عن التساؤل الرئيس، وهو:

ما الحاجة إلى معرفة وساوس ومداخل ووسائل الشيطان اللعين؟ والذي تتفرع عنه الأسئلة الآتية:

1/ كيف يؤثر الشيطان اللعين على سلوك الفرد؟

2/ كيف ينعكس سلوك الفرد المتبع لوساوس الشيطان اللعين على أحوال المجتمع؟

3/ وما أثر هذا السلوك في الواقع؟

ثالثا: أهداف البحث:

إن هدف هذا البحث محاولة تلمّس وقائع معاشة، وإثارة تساؤلات جوهرية حول مدى تأثيرات الشيطان – أعاذنا الله منه- في أحوال الناس والمجتمعات، وإسقاطه على الحالة الليبية؛ فلعل من أشد الوساوس خطورة هي إلهاء الإنسان في أمور غير ذات جدوى؛ ذلك أن الشيطان إذا عجز أن يوقع الإنسان في كبائر وصغائر الذنوب، دعاه إلى الاشتغال بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب، بل عاقبتها فوات الثواب الذي يضيع من الإنسان باشتغاله بها، ومن أبرزها -والتي ستكون موضوع بحثنا- الاشتغال بصورة مبالغة بالمناكفات السياسية، والصراع على السلطة، وما يرتبط بهما من ضخ إعلامي عبر جميع وسائل الإعلام والصحافة، ووسائل التواصل المختلفة؛ وما فيها من قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، وهو مسلك يدعو إليه الشيطان ويحرّض عليه؛ لأن فيه هدراً للوقت واستنزافاً للمال فيما لا نفع فيه؛ بل فيه إضاعة للوقت فيما لاطائل منه، وتعطيل للإنفاق في وجوه البر والخير، وذلك مما يرضى عنه الشيطان الرجيم، ويحقق به وعده في غواية الناس وإضلالهم.

رابعا: منهج البحث:

سوف أستخدم في هذا البحث إن شاء الله تعالى المنهج المقارن، كما تتطلبه طبيعة الموضوع؛ محاولا استخلاص مواضع الاختلاف والاتفاق في ما ورد عن الشيطان اللعين في الأديان السماوية والحضارات القديمة، كذلك سأستخدم إن شاء الله المنهج الاستنباطي والاستقرائي كلما تطلب سياق البحث ذلك.

خامساً: خطة البحث

سوف أقسم هذا البحث إلى: مقدمة وتمهيد وثلاثة مطالب، وخاتمة، على النحو التالي:
المطلب الأول: الشيطان –أعاذنا الله منه- في الأديان والحضارات القديمة.
المطلب الثاني: الشيطان –أعاذنا الله منه- كما ورد ذكره في القرآن الكريم والسنة النبوية.
المطلب الثالث: إسقاط تأثيرات الشيطان –أعاذنا الله منه- على الواقع المعاصر.
وأخيرا الخاتمة.

تمهيد

المصدر الأساس لهذا الموضوع وغيره هو كتاب الله تعالى؛ القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن المصادر الأساسية- التي بينت كل ما يتعلق بالشيطان الرجيم منذ أعلن تحديه للمولى عز وجل- كتب تفسير القرآن الكريم التي سنشير إليها في ثنايا البحث، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة وشروحها التي سيعتمد عليها البحث اعتمادا جوهريا، وذلك كما هو موضح في صلب البحث.

ومن المصادر القديمة التي تناولت موضوع الشيطان –أعاذنا الله منه- كتاب ابن الجوزي (تلبيس إبليس)، الذي أحاط فيه بالطرق التي يلبّس بها إبليس على البشر، وما يميز هذا الكتاب أنه لا يرسم الصورة التقليدية الشائعة للشيطان –لعنه الله- فحسب، وإنما يسبغ عليها طابعا تحليليا، حيث يتناول كثير من الحركات الدينية والفكرية الكبرى التي عرفت في تاريخ الحضارة الإسلامية، ومدى تأثير الشيطان الرجيم في أفكارها وما قدمته من رؤى وأطروحات[1].

ومن المراجع الحديثة التي تناولت هذا الموضوع كتاب محمود عباس العقاد (إبليس) الذي يركز على حكاية الشيطان الرجيم كما وردت في القرآن الكريم منذ أن عصى أمر الله سبحانه وتعالى بالسجود لآدم عليه السلام؛ فطرده سبحانه وتعالى من الجنة، وعلى وسوسته المستمرة لبني آدم في كل زمان ومكان من أجل تنفيذ وعده في غواية الإنسان وإضلاله، والكتاب يفسر مراحل تطور قوة الشر عبر التاريخ من خلال طرحه لتطور فكرة الشيطان في الحضارات القديمة، وصورة الشيطان في الأديان السماوية[2].

ومن المراجع المعاصرة كتاب فتحي مسكيني (الشيطان في الديانات السماوية الصورة والرمز: دراسة مقارنة في الأديان)، وموضوع الكتاب إجمالا يتعلق بفلسفة الدين، إذ يتطرق لإشكالية فلسفية دينية؛ وهي أصل الشر؛ ويتناول الكتاب صورة الشيطان في الأديان السماوية والوضعية، والكتاب يطرح قضايا تكشف عن معطيات وحقائق مثيرة، وذلك بتقديمه رؤية شمولية ومجردة عن صورة الشيطان ورمزيته في الديانات السماوية الثلاث؛ حيث يركز الكاتب على ما ورد في التوراة عن الشيطان باعتباره انعكاسا للعنات التي أصابت اليهود، ورمزا من رموز التيه والسبي والتشرد، وعلى النصوص الواردة في الإنجيل؛ ذلك إن الديانة المسيحية التي تعتبر كل مخالف لها ومعاد لتعاليمها رمزا للشر، وشياطين متجسدين واقعا عمليا بين الناس، وفي الدين الإسلامي تناول الكاتب ما ورد في القرآن الكريم من آيات تبين دور الشيطان في التضليل والصد عن عبادة الله، وكيف يعيث في الأرض فسادا، وتحذير القرآن الكريم والسنة النبوية من اتباع خطوات الشيطان اللعين كما ذكرت في الأمثال والقصص التي وردت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية[3].

ومن البحوث المعاصرة والمتميزة في هذا الموضوع رسالة (ماجستير) قدمت من الباحثة سعاد عمر عبد الحي مشهور بعنوان: (كيد الشيطان من خلال آيات القرآن الكريم: دراسة موضوعية)، التي أجيزت من كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى (دولة السعودية) عام 1429هـ - 2008م، وهي رسالة قيِّمة امتازت بالتوثيق والاعتماد على المصادر والمراجع ذات الأهمية العلمية، وخلصت الباحثة إلى نتائج من أبرزها الرد على منكري تأثير الشيطان بالأدلة العقلية؛ ذلك أن الله –سبحانه وتعالى- خلق للبشر عقولا وكرمهم بها، فهي

[1] ابن الجوزي: جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن الجوزي البغدادي، تلبيس ابليس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001م.
[2] عباس محمود العقاد، إبليس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013م.
[3] كتاب فتحي مسكيني، الشيطان في الديانات السماوية: الصورة والرمز.. دراسة مقارنة في الأديان، دار الحكمة للطباعة والنشر، القاهرة، 2014م.

العون على التفكير والتخطيط والارتقاء بالفكر الإنساني؛ ولكن إذا اصطدم التفكير بما أنزل الله -جلت قدرته- فإنه يتوجب تقديم ما أنزل خالق العقول على ما يدور فيها[1].

المطلب الأول
الشيطان –أعاذنا الله منه- في الأديان والحضارات القديمة

الشيطان –أعاذنا الله منه- معروف بأنه رمز للشر منذ بدء الخليقة، وإن لم تطلق عليه هذه التسمية في جميع الحضارات والأديان[2]، والأديان جميعها سماوية كانت أم وضعية لا تخلو معتقداتها أو كتبها أو مراجعها من مفاهيم للشر، وإن فكرة وجود الشر هي جزء لا يتجزأ من أصول الأديان، وتتلخص هذه الفكرة في أن الشر هو النقيض للخير المعارض على الدوام مع الوجه الآخر لأي دين أو معتقد، وعلى هذا الأساس كانت نظرة الإنسان البدائي للأرواح من كونها أرواحا طيبة وأرواحا خبيثة؛ وذلك حسب نفعها أو ضررها[3]، وفي ذات الوقت احتياجه إلى من يرفع عنه الشر، وقاده تفكيره إلى اللجوء إلى رموز وشخصيات تمثلت في نماذج مثل: الكاهن والساحر والعرَّاف؛ ليبعدوا عنه الخبيث بالرقي والتعاويذ والتمائم، ويقربوا له الطيب بالدعوات والصلوات والقرابين؛ لأنه كان يرى الأثر المقدس متجسدا في هذه الآلهة التي تقوم بتفسير الأحداث والوقائع، ومع ذلك يظل مفهوم الشيطان في الحضارات القديمة يتأثر بمعتقدات وتراث الشعوب التي تختلف من مكان إلى آخر، ومن زمان إلى آخر، وتبقى صورة الشيطان صورة مجردة صعبة الفهم.

ولقد اتفقت الأديان السماوية منها وغير السماوية على الصفات التي تنسب إلى هذا الكائن الشرير (الشيطان)، وإن كانت هذه الأديان تختلف في نظرتها اختلافا جزئياً أو كلياً إلى مدى إرادة وقدرة الشيطان على فعل الشر، ففي المعتقدات القديمة لم يكن هناك شيطان بالمفهوم الذي أصبح واضحا لاحقا بعد ظهور الأديان السماوية؛ إنما هي مجموعة من الأرواح والأطياف والغيبيات تمتلك صفات معينة، وهذه الصفات تتعلق بمدى الضرر أو المنفعة التي يمكن أن تلحق بالإنسان البدائي لكي يقول عنها إنها شريرة أو خيرة، ويرمز لها بكائنات أو أشكال أو رموز مادية محسوسة كالتماثيل والأحجار والهياكل، وذلك في محاولة منه لتجنب شررها أو لكسب رضاها، «وللشعوب البدائية على اختلاف أجناسها وثقافتها ديانات بدائية تتصف إجمالا بأنها مادية ووثنية بعيدة عن الروحانيات، يقوم أهلها بممارسة عباداتهم لمجموعة من التماثيل ينحتونها أومن الأنصاب ينصبونها، أو مراكز يقيمونها للطواف حولها للتعبد والبركة، أو للاستغاثة، أو للاستخارة»[4].

وفي الحياة البدائية عزى الإنسان وجود الشيطان إلى أرواح شريرة بطبيعتها، وعرف الإنسان بفطرته أن نظام الكون الذي يسير بانتظام تباركه الأرواح الخيرة، وكل فساد لهذا النظام يكون من فعل الأرواح الشريرة، وقد قاد هذا التصور إلى أن يبتكر الإنسان طقوسا من أجل اتقاء أذى الأرواح الشريرة[5].

ففي الديانة المصرية القديمة مثلا: فإن الرمز الذي يرتبط بالشر هو (ست) أخ (أوزيريس)، وهما ابنا الإله (رع) إله الشمس، الذي تشير بعض المصادر التاريخية التي تناولت هذه الأسطورة إلى أن (ست) قتل أخاه (أوزيريس) ورماه في نهر النيل، ومصدر آخر يشير إلى أنه اتهم أخاه بالظلم والعدوان، ثم انكشف هذا الأمر، فأصبح (ست) رمزاً للكذب والنميمة، وبالتالي أصبح مرادفاً لكل ما يدل على الخراب والشر[6].

---

[1] كتاب سعاد عمر عبد الحي مشهور، كيد الشيطان من خلال آيات القرآن الكريم: دراسة موضوعية، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، 1429هـ - 2008م.

[2] كلمة (الشيطان) لها معان عدة في اللغة العربية، منها:

أ/ «مشتق من (شطن)؛ بمعنى: بَعُد عن الحقّ، فهو من: شطنه يشطنه شطنًا: إذا خالفه عن وجهته ونيَّته، وشَطَّت الدار: بَعُدَت، والشاطن: الخبيث، وتشيطن الرجل: إذا صار كالشيطان، والشيطان روح شرير، وكل متمرد فاسد». المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط 3، ج1، ص: 502.

ب/ «مأخوذ من الفعل (شاط)؛ بمعنى: احترق من الغضب، فهو من: شاط يشيط، وتشيط: إذا لفحَته النار فاحترق أو هلك، والشيطان فعلان، من شاط يشيط». ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1999م، ج 7، ص: 257.

ج/ «كلمة (شيطان) من اللغة العبرية بمعنى: الضد أو العدو». عباس محمود العقاد، إبليس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013م، ص: 31.

[3] عباس محمود العقاد، إبليس، ص: 14.

[4] فوزي محمد حميد، عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 1991م، ص: 134.

[5] ينظر: عباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص: 26.

[6] ينظر: سامي سعيد الأحمد، الأصول الأولى لأفكار الشر والشيطان، بغداد، مطبعة الجامعة، ط1، 1970م، ص: 26.

وفي الديانة الهندوسية مثال آخر لفكرة تعدد الكائنات الشريرة؛ فهناك الرمز (راكشا) التي تنسب إليها الأعمال الشريرة، «وكلمة (راكشا) هو الاسم الذي كان يطلق على السكان الأوائل في بلاد الهند، والذين كانوا يتمتعون بنفوذ كبير، وكانت لهم سيطرة على الطرق وينابيع الماء، وقد رسخ في الأذهان أنهم أعداء البشر، وأنهم يتربصون بالناس ويؤذونهم»[1]، ونجد أيضاً في الديانة الهندوسية رمزا للشر وهو (مايا)، «وهي تعبير عن العالم المحسوس الذي يعتبر أن كل ما يربط الإنسان بالشر فهو شر وباطل مثله، وقد تم تصوير العالم المحسوس أو (مايا) على شكل أنثى على اعتبار أن كل الفتن والشرور تتجمع حسب رأي الهنود في المرأة»[2].

أما في الديانة الزرادشتية والتي كانت أول عقيدة صاغت مفهوماً متكاملاً عن الشيطان كونه أصل الشر، فقد حدث تطورا كبيراً لمفهوم الشيطان، فنجدها أكثر وضوحا وأكثر تحديداً منها في الأديان القديمة الأخرى، «ويسمى الشيطان في الديانة الزرادشتية بـ (أهريمان)، ويسمى كذلك (أنكرامينو)، وتمثل هذه الشخصية جميع الأعمال الشريرة، وهي الشخصية الرئيسة المجسدة للشر بكل وضوح حسب الديانة الزرادشتية»[3].

وهكذا فإن فكرة الشيطان في الحضارات القديمة والأديان الوضعية تقوم على الأساطير؛ وذلك بمحاولة إيجاد تفسير لما يقع للإنسان من كوارث ومحن ومصائب، ويصعب عليه تحليلها ومعرفة أسبابها، فتأتي الأسطورة بالحلول لما يواجه الإنسان من مصاعب ومنغصات، وهو يمثل تعويضا عن عجز العقل البشري في الوصول للإجابة الحقيقية والصادقة والملموسة عن التساؤلات التي يثيرها الإنسان حول ما يجابهه من مواقف وأحداث، وأيضا لتبرير مرارة ذلك الواقع وتقبله على أساس أن الأساطير تقدم الحلول عن طريق القيام بالطقوس وتقديم القرابين، وإيجاد تفسيرات لما يحيط بالإنسان من مسائل يشوبها الغموض؛ فعلى سبيل المثال فإن الإنسان القديم لم يعرف حقيقة الموت، فاعتقد أن الموت هو توقف التنفس، وكان يؤمن بأن النفس البشرية عندما تخرج من الجسد تأخذ وتتقمص أشكالا أخرى، وهنا ظهرت الأشباح والأطياف وتقمص الأرواح[4].

وعندما نتأمل في تاريخ الأساطير فإننا سوف نقف أمام صور متنوعة ومختلفة ومتباينة من حيث تقييمها لدور الشيطان وموقعه ووظيفته وأثره بالنسبة لحياة الإنسان، إلا أنها تشترك جميعا في الإقرار الخفي بدوره، ويظل دائما الحديث عن الشيطان أمرا ليس بالسهل أو الهين، فهي مسألة في غاية الصعوبة والتعقيد؛ نظرًا لأن الشيطان أمر واقع في كل الحضارات البشرية والأديان سواء كانت سماوية أم وضعية.

إن التاريخ الإنساني يحمل إرثاً ضخما من الأساطير والقصص الخيالية حول فكرة الشر، ومضمون الشيطان، وبغض النظر عن مدى وجاهة مثل هذه الأفكار، إلا أنها تظل لها أهميتها، ولا يمكن تجاهلها؛ لأن هذه الأساطير تدور حول فكرة الصراع الدائم بين الخير والشر، كما أنها تحمل بداخلها معان ورموزاً متعددة[5]، وفي الحضارات القديمة غالبا ما تدور أساطير في العقل الجمعي تقوم على فكرة نقمة الإله الأكبر على الجنس البشري، والعمل على إبادته جزاء ما ارتكب الناس من خطايا وذنوب، ويختلف تفسير هذه الأساطير وطرق العمل بها باختلاف الشعوب؛ وفي الأديان القديمة عموما لا يوجد رمز واحد للشر؛ بل عدة كائنات وأرواح شريرة، كل له دوره ووظيفته؛ ولكنها تشترك في صفات الخداع والإغواء، وكل ما له علاقة بالشر والفساد[6]، وتظل مسألة البحث في الأديان القديمة مربكة لمعرفة شخصية محددة ترمز إلى الشر، أو عن الشخصية الشريرة المميزة التي يمكن مقارنتها بالشيطان كما بينته الأديان السماوية، إذ أن هناك أعدادا ونماذج من تلك الكائنات الشريرة، والتي يعتقد أن لها القدرة على فعل الشر، وأن التطور في الفكر الإنساني إجمالا مرَّ بمراحل زمنية طويلة ومختلفة إلى أن جاءت الأديان السماوية التي أبرزت حقيقة الشيطان -أعاذنا الله منه-.

فمفهوم أو صورة الشيطان تغيرت وبشكل كامل وجذري مع ظهور الأديان السماوية؛ ففي التوراة نصوص صريحة تتحدث عن الشياطين والأرواح الشريرة، والشيطان في التوراة يمثل انعكاسا للعنات التي أصابت اليهود، ورمزا من رموز التيه والسبي والتشرد، وهو بذلك يقيم في الأماكن الفاسدة التي تعج بالأوثان وتنتشر فيها الرذائل[7]، فنجد في سفر التكوين جملة في نهاية قصة الخلق: «وهكذا أُكمِلت السماوات والأرض وكل جندها»[8]، وهذا يعني أن الله كان محاطاً بحشد من كائنات أخرى أطلق عليها تعبير جند السماء، وعلى الرغم من استخدام التوراة معان مختلفة لتعبير جند السماء، إلا أن الاستخدام في معظم الأحيان كمرادف لتعبير ملائكة الله، وهؤلاء هم خدمه العاملون على تنفيذ أوامره ومعاونته، ونجد هذا الأمر واضحا في سفر ملوك الأول: «قد رأيت

[1] عباس محمود العقاد ، مرجع سابق، ص: 44.
[2] المرجع نفسه، ص: 45.
[3] سامي سعيد الأحمد، مرجع سابق، ص: 46.
[4] ينظر: فوزي محمد حميد، مرجع سابق، ص: 196 وما بعدها.
[5] ينظر: المرجع نفسه، ص: 8.
[6] ينظر: المرجع نفسه، ص: 134.
[7] ينظر: فتحي مسكيني، الشيطان في الديانات السماوية: الصورة والرمز.. دراسة مقارنة في الأديان، مرجع سابق، ص: 111.
[8] سفر التكوين، إصحاح: 2، عدد: 2.

الرب جالساً على عرشه وجميع جند السموات وقوف لديه؛ إلى يمينه ويساره»[1]، وكذلك ما ورد في المزمور: «باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوةً العاملين بكلمته، سمعا لصوت كلامه، باركوا الرب يا جميع جنوده، يا خدامه العاملين مشيئته»[2].

ووفقا لتعاليم التوراة فإن كل شيء يعود في خلقه إلى الله، فالله معطي الحياة جميعها، وهو الرب الأعلى، وهو المصدر الوحيد للخير والشر، فقد ورد في التوراة ما يفيد أن الخير والشر كلاهما من عند الله[3]، ففي سفر أيوب: «أنقبل الخير فقط من الله ولا نقبل الشر أيضا»[4]، وكذلك ما ورد في سفر أشعياء: «من أسلم يعقوب إلى السلب وإسرائيل إلى الناهبين، أليس الله»[5].

ويتبلور هذا المعنى بصورة أوضح في الديانة المسيحية؛ ففي الأدبيات المسيحية واستنادا إلى اللغات الأصلية للكتاب المقدس، فإن كلمة الشيطان تعني المقاوم أو الخصم أو العدو[6]، وإن الشيطان يمتلك قوة خارقة ويستطيع أن يفعل ما يشاء في هذا العالم، وأنه يتحالف مع رموز معينة مثل: السحرة، والمشعوذين والعرافين، وأن التخلص من هؤلاء ضرورة للتخلص من الشيطان، ففي سفر الرؤيا: «فطرح التنين العظيم، الحية الأولى»[7]، وتوجد روايات كثيرة تتحدث عن قوة الشيطان، ومدى قدرته على إتيان الشر، وأنه لا يستطيع فعل شيء دون أن يستأذن الرب في ذلك، كما حدث في حالة طرد الشياطين من أحد الأشخاص: «وكان قطع خنازير كثيرة ترعى هناك في الجبل، فتوسلوا إليه[أي: المسيح] أن يسمحوا لهم بالدخول فيها، فسمح لهم، عندئذ خرجت الشياطين من الرجل ودخلت في الخنازير»[8].

وفي الإنجيل أن المسيح عليه السلام شفى مرضى مما يعانونه من أمراض وأسقام، وأنه أخرج الشيطان من عدد ممن كان بهم مس من الشيطان، فقد ورد في سفر لوقا: «وكان في المجمع إنسان به روح شيطان نجس، فصاح بصوت عال: (آه ما لنا ولك يا يسوع الناصري، أجئت لتهلكنا؟ أنا أعرفك من أنت: قدوس الله)؛ فانتهره يسوع قائلاً: (أسكت وأخرج منه)، فطرح الشيطان الإنسان أرضا في وسطهم، وخرج منه دون أن يؤذيه»[9]، وورد كذلك في سفر متى: «وفيما هما ماضيان إذ بالناس يحضرون إليه أخرس يسيطر عليه شيطان، فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس، فبهت الجموع وقالوا: (لم ير مثل هذا قط في إسرائيل)»[10]، وورد أيضا في سفر مرقص: «وحل المساء، إذ غربت الشمس، فأحضروا إليه جميع السُّقماء والذين تسيطر عليهم الشياطين، وكانت المدينة كلها مجتمعة على الباب، فشفى كثيرين كانوا سقماء بأمراض مختلفة، وأخرج شياطين كثيرين؛ لكنه لم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم عرفوه أنه المسيح»[11].

وفي هذا المقام نشير إلى حقائق ترتبط بنظرة المسيحية واليهودية إجمالا إلى الشيطان، فهما ينظران إلى الشيطان على أنه كيان خارجي مستقل عن الإنسان، وهو كيان حاقد على الإنسان يكرهه ويسعى لإغوائه والإضرار به، ويقود هذا الاعتقاد إلى نتيجة وهي النظر إلى الخصوم على أنهم شياطين، أو أنهم تتجسد فيهم خصائص الشيطان[12].

فمما تقدم يتضح أنّ الشيطان وتأثيراته على بني آدم كما عرف في الحضارات القديمة والأديان الوضعية، كذلك ورد ذكره في الكتب السابقة قبل القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[13] فالخطاب القرآني ﴿يا بني آدم﴾ موجه إلى كل بني آدم؛ لأن عداء الشيطان يشمل كل الناس، حيث يسعى دائما إلى الإيقاع بينهم، وإلى الفتنة بينهم؛ ليبعدهم عن الصراط المستقيم الذي هو عبادة الله وحده.

---

[1] سفر ملوك الأول، إصحاح: 22، عدد: 19.
[2] سفر مزمور، إصحاح: 103:، عدد: 19-21.
[3] ينظر: عباس محمود العقاد ، مرجع سابق، ص: 68.
[4] سفر أيوب، إصحاح: 2، عدد: 9-10.
[5] سفر أشعيا، إصحاح: 42، عدد: 24.
[6] بطرس عبد الملك وآخران، قاموس الكتاب المقدس، باب(ش/24)، ص: 364، منشور الكترونيا على الرابط التالي: https://www.alarabimag.com/books/1845h
[7] سفر رؤيا، إصحاح: 12، عدد: 9.
[8] سفر لوقا، إصحاح: 8، عدد: 32-33.
[9] سفر لوقا، إصحاح:4، عدد: 33-35.
[10] سفر متى، إصحاح:8، عدد: 32-33.
[11] سفر مرقص، إصحاح:1، عدد: 32-34.
[12] ينظر: فتحي مسكيني، مرجع سابق، ص: 119.
[13] سورة الأعراف، الآية: 27.

المطلب الثاني
الشيطان –أعاذنا الله منه- كما ورد ذكره في القرآن الكريم والسنة النبوية

يؤمن المسلم إيمانا راسخا بحقيقة وجود الشيطان اللعين[1]، «فالشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويتخبطه»[2]، والمسلم على يقين بأن كيد الشيطان ضعيف، قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾[3]، والمسلم يعلم ويعي ويدرك بأن وساوس الشيطان وشروره تُدفع بذكر الله جلت قدرته، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[4]، فالإنسان إذا ذكر الله خنس الشيطان وتأخر، وهو لا يقوى على التأثير على الإنسان إلا بقدر السوء الذي في نفسه، ويستطيع الإنسان بإيمان صادق وبإرادة قوية أن لا يمكّن الشيطان منه؛ فالشيطان الرجيم بذريته وأعوانه وجنده يتلبّسُ على الإنسان، ولا أحد من الناس بعيد عن وساوس الشيطان الذي وعد بإضلال الناس والترصد لهم، قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم وَمن خَلفهم وَعَن أيمانهم وعن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[5]، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مخاطبا الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه- صاحب الإيمان القوي والعزيمة الصادقة: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»[6]، ويستطيع الإنسان باستخدامه عقله الذي ميزه الله به عن بقية الخلق بإبعاد تأثير الشيطان –بعد الاتكال على الله- بالأدلة العقلية؛ ذلك أن الله –سبحانه وتعالى- خلق للبشر عقولا وكرمهم بها، فهي العون على التفكير والتخطيط والارتقاء بالفكر الإنساني، ولكن إذا اصطدم التفكير بما أنزل الله -جلت قدرته- فإنه يتوجب تقديم ما أنزل خالق العقول على ما يدور فيها[7].

وللشيطان الرجيم مداخل كثيرة ذكرها أهل العلم؛ وهي بمثابة نماذج وأمثلة، أما تفاصيلها فمتشعبة؛ فمنها: صرف الإنسان عن العبادة، واتباع الشهوات، والتسويف، والرياء، والتعالي، والإعجاب بالنفس، والكبر الذي كان أول تحدّ واجه به الشيطان الرجيم المولى عز وجل، «والمولى –عظمت قدرته- عامل إبليس اللعين بنقيض قصده، حيث كان قصده التعاظم والتكبر، فأخرجه الله صاغرا ذليلا، متصفا بنقيض ما كان يحاوله من العلو والعظمة»[8]، والشيطان يظهر للإنسان بصورٍ مختلفة، فهو يتقمّصُ صوراً عدة؛ فقد يتمثل في صورة إنسان أو حيوان أو جماد وغيرها، والمدخل الرئيس للشيطان هي الوسوسة، فوسوسة الشيطان هي تزيين المعصية في نفس الإنسان حتى يقع فيها، فان تاب عنها انتقل به إلى معصية أخرى، فإن عصاه فيها انتقل به إلى معصية ثالثة، وهكذا يبقى الشيطان يصارع الإنسان في الوسوسة حتى يوقعه في الشر[9]، ومن مداخل الشيطان بليغة الإثر اتباع الهوى «وهذا باب كيده الأعظم الذي يدخل منه على ابن آدم.. فإذا عرفه استعان به على العبد ودخل عليه من هذا الباب»[10].

والعلاج من هذه المداخل بصدها، والقاسم المشترك في علاجها هو ذكر لله عز وجل والاستعاذة بالله من وساوس الشيطان وكيده، والذي نذكره بصورة موجزة كما وردت في سورتي (المعوذتين)؛ فقد ذكر سبحانه وتعالى في هاتين السورتين الكريمتين ما يستعاذ منه باللَّه من أنواع من الشرور التي تصيب الإنسان، وقد ابتدأ سبحانه وتعالى في سورة (الفلق) بالاستعاذة من شر المخلوقات، وظلمة الليل، والسحرة، والحاسدين، ثم ذكر سبحانه وتعالى في سورة (الناس) الاستعاذة من شر شياطين الإنس والجن[11].

ولبيان أثر الشيطان القوي، وأنه أكثر تأثيرا مما قد يخشاه الناس من شرور، فإنّ المستعاذ به في سورة (الفلق) هو المولى - سبحانه وتعالى- مذكور بصفة واحدة من صفاته -سبحانه وتعالى-، وبنعمة واحدة من نعمه

---

[1] الخلاف في إبليس هل هو ملك في الأصل فمسخه الله شيطاناً، أو ليس في الأصل بملك، وإنما شمله لفظ الملائكة لدخوله فيهم وتعبده معهم مشهور عند أهل العلم، وللمزيد ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، ج4، ص: 130-132.

[2] أبو الحسن الأشعري: الإبانة في أصول الديانة، المطبعة المنيرية، القاهرة، ص: 12.

[3] سورة النساء، من الآية: 75.

[4] سورة فصلت، الآية: 35.

[5] سورة الأعراف، الآيتان: 15-16.

[6] مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث رقم: 4537، ت. هيثم تميم وآخر، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001م.

[7] ينظر: سعاد عمر عبد الحي مشهور، كيد الشيطان من خلال آيات القرآن الكريم: دراسة موضوعية، مرجع سابق، ص: 423.

[8] الشنقيطي: مرجع سابق، ج1، ص: 78.

[9] ينظر: الغزالي: أبو حامد بن محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ج3، ص: 29-31.

[10] ابن القيم: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن ابن القيم الجوزية، التفسير القيم لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1949م، ص: 32.

[11] الشنقيطي، مرجع سابق، ج5، ص: 60.

التي لا تعد ولا تحصى، وهي أنه –سبحانه وتعالى- (رب الفلق)، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[1]، والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات التي يراها كثير من الناس أنها من المصائب الكبرى التي تهدد حياتهم وتضيق عليهم معيشتهم، وهي: (الغاسق إذا وقب)، و(النفاثات في العقد)، و(الحاسد إذا حسد)[2].

وأما في سورة (الناس) فالمستعاذ به -سبحانه وتعالى- مذكور بصفات ثلاثة من صفاته، وهي: (رب الناس) و(ملك الناس) و(إله الناس)، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ *مَلِكِ* النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ *النَّاسِ* مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[3]، والمستعاذ منه شر واحد، وهي (الوسوسة)، وهذا بيان بأن وسوسة الشيطان أشد خطرا من مضار الدنيا وإن عظمت؛ فسورة (الناس) مشتملة على الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها؛ وهو الذي مِن فتنته وشره أنه يوسوس في صدور الناس، فيحسّن لهم الشرّ، ويقدمه لهم في صورة حسنة، ويقبح لهم الخير، ويقدمه لهم في صورة غير صورته، وهو دائمًا بهذه الحال يوسوس، ولكنه يخنس إذا ذَكَرَ العبدُ ربَّه واستعان به عليه[4].

والشيطان هو العدو الأشد ضررا على الإنسان، فهو يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق، وهو يتدخل في كل صغيرة وكبيرة في حياة الإنسان؛ فهو لا يفتأ يشعل الفتن بين الناس، ويورث بينهم العداوة والبغضاء؛ أفرادا وجماعات، مجتمعات ودولا، وعداوة الشيطان للإنسان ليست محصورة في إغوائه وصرفه عن الحق، ولكن للتضييق على الإنسان بشتى أنواع الأذى، وخاصة إذا لم يتمكن من صرفه عن الهدف الجوهري؛ لغوايته وهي الإيقاع في الشرك بالله –والعياذ بالله-؛ لذلك فقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية؛ لتبين خطر هذا العدو، وسبل إضلاله وإفساده، حتى يحذره الناس، ويكونوا في مأمن من مكره وشره، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ»[5].

إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أحسن هيئة وأجمل صورة، متصفا بأكمل الخصال وأتم الصفات، وأنعم الله عز وجل على الإنسان بنعمة العقل الذي ميّزه به عن سائر مخلوقاته، ولكن ما يحيد الإنسان عن الصراط المستقيم هو اتباع الشهوات التي هي من مداخل غواية الشيطان –كما ذكرنا في مقدمة هذا الجزء-، ولأنّ العقل هو ما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، فإن الشيطان يحاول دائما أن يستحوذ على الإنسان عن طريق الوسوسة التي تؤثر في تفكيره، فيأخذ الشيطان بعقل الإنسان حتى يجعله يبتعد عن الهدف الذي خلق لأجله وهو عبادة الله وحده، فيُضِل الإنسان عن طريق الحق، ويخرجه من النور إلى الظلمات؛ «فعَنْ عِيَاضٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ لَا يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»[6].

والشيطان الرجيم –أعاذنا الله منه- لا يعدم وسيلة في الإيقاع بالإنسان، ووسائله لإهلاك الإنسان عديدة ومتنوعة ومتشعبة، وأشدها ضررا هي دعوة الإنسان إلى الشرك بالله تعالى –والعياذ بالله-، فالشيطانُ يدعو الإنسان إلى الكفر والشرك بالله تعالى، فإذا نجحَ في ذلك واستجاب له الإنسان، فقد حقق أقصى غاياته، واطمأن الشيطان واستراح؛ لأنه في هذه الحالة أصبح وليه وسيده في هذه الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[7]، ثم يوم القيامة يعلن البراءة منه أمام الأشهاد، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[8]، وفي تفسير هذه الآية الكريمة يقول ابنُ كثير: «يُخْبِرُ الله تَعَالَى عَمَّا خَطَبَ بِهِ إِبْلِيسُ -لَعَنَهُ اللَّهُ- أَتْبَاعَهُ، بَعْدَمَا قَضَى اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فَقَامَ فِيهِمْ يومئذ خَطِيبًا لِيَزِيدَهُمْ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ، وَحَسْرَةً إِلَى حَسْرَتِهِمْ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ أَيْ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، وَوَعَدَكُمْ فِي اتباعهم النَّجَاةَ وَالسَّلَامَةَ، وَكَانَ وَعْدًا حقا وخبرا صدقا، وأما أنا فوعدتكم فأخلفتكم، ثُمَّ قَالَ: وَما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ أَيْ ما كان لي دليل فيما دعوتكم إليه ولا حجة فيما

---

[1] سورة الفلق.

[2] ينظر: الألوسي: أبو الثناء شهاب الدين محمود الألوسي، *روح المعاني* في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المكتبة التجارية، القاهرة، ج 16، ص: 507.

[3] سورة الناس.

[4] ابن القيم، مرجع سابق، ص: 477.

[5] البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الشهادة، حديث رقم: 6788. دار عالم الكتب، بيروت، 1982م.

[6] مسلم، مرجع سابق، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة والنار، حديث رقم: 5240.

[7] سورة الأعراف، من الآية: 26.

[8] سورة إبراهيم، الآية: 24.

وَعَدْتُكُمْ بِهِ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي، فَلا تَلُومُونِي الْيَوْمَ وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ فَإِنَّ الذَّنْبَ لَكُمْ لِكَوْنِكُمْ خَالَفْتُمُ الْحُجَجَ وَاتَّبَعْتُمُونِي بِمُجَرَّدِ مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى الْبَاطِلِ»[1].

وإيقاع الإنسان في الشرك بالله تعالى هو أعظم غايات الشيطان -كما ذكرنا-؛ لأنه يعلم أن الله جلت قدرته لا يغفر للمشرك إذا مات على شركه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾[2]، ويقول الطبري مبينا هذا الأمر: «مَنْ يَجْعَلْ لِلَّهِ فِي عِبَادَتِهِ شَرِيكًا، فَقَدْ ذَهَبَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَزَالَ عَنْ قَصَدِ السَّبِيلِ ذَهَابًا بَعِيدًا وَزَوَالًا شَدِيدًا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ بِإِشْرَاكِهِ بِاللَّهِ فِي عِبَادَتِهِ، فَقَدْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ وَسَلَكَ طَرِيقَهُ وَتَرَكَ طَاعَةَ اللَّهِ وَمِنْهَاجَ دِينِهِ، فَذَاكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ وَالْخُسْرَانُ الْمُبِينُ»[3]، ويحرص الشيطان دائما على إيقاع الإنسان في الشرك بالله تعالى؛ لأنه يعلم أن الشرك بالله هو الطامة الكبرى، وأنه يُحبط جميع الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[4].

وإذا فشل الشيطان في إيقاع الإنسان في الشرك بالله، ووجد إيمانه قويا راسخا، فإنه يشرع في وسوسته وتحريضه على ارتكاب الموبقات والكبائر، والكبيرة هي كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب[5]، قال تعالى محذرا من الكبائر: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾[6]، وقال الذهبي في تفسيره لهذه الآية الكريمة: «تكفل الله تعالى بهذا النص لمن اجتنب الكبائر أن يدخله الجنة»"[7]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الكَبَائِرُ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، أَوْ قَالَ: وَقَتْلُ النَّفْسِ»[8].

وإذا يئس الشيطانُ من إيقاع الإنسان في ارتكاب الكبائر، فإنه يدعوه إلى ارتكاب الصغائر التي إذا أكثر من فعلها الإنسان قادته إلى الهلاك، وإذا لم يحقق الشيطان هذا الهدف، فإنه يعمل على إلهاء الإنسان في الاشتغال بالأمور المباحة التي لا ثواب فيها ولا عقاب؛ بل عاقبتها فوات الثواب الذي ضاع عليه باشتغاله به، فإذا كان الإنسان على سبيل المثال محافظًا على وقته، يدرك مقداره وأهميته ويستغله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفعل الخير، وتقديم القربات، فيحاول أن يشغله بالأعمال التي لا طائل منها ليبعده عن الفضيلة، ويفوت عليه ثواب العمل الصالح، فإذا عجز الشيطانُ عن إيقاع الإنسان في كل أو واحدة من تلك الكوارث، سلط عليه حزبه من الإنس والجن بأنواع الأذى والتكفير والتضليل[9].

والمخرج من هذه الوساوس والفتن لا يتوصل إلى معرفته إلا بنور من الله يقذفه في قلب الإنسان؛ ذلك أن مكائد الشيطان لا تخرج عن التأثير النفسي، وهو ما سماه الله سبحانه وتعالى بالوسوسة، وهي حديث النفس والكلام الخفي الذي لا يُسمع، فالشيطان يوسوس في صدور الناس فيأمرهم بالمنكر وينهاهم عن المعروف[10]؛ والوسوسة هي القوة الخفية للشيطان –لعنه الله-، وما أخرج آدم -عليه السلام- من الجنة إلا وسوسته، قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾[11]، ورغم افتقاد الشيطان للقوة المادية في الإضلال إلا أنه يغوي أكثر الناس - والعياذ بالله -، ولوسوسته تأثير كبير على إضلال البشر، يساعده في ذلك موافقة أهواء النفس وشهواتها لما يدعو إليه، والغالب أن يقع الإنسان وبدرجات متفاوتة في غواية الشيطان وضلاله –إلا من رحم الله-.

المطلب الثالث:
إسقاط تأثيرات الشيطان –أعاذنا الله منه- على الواقع المعاصر

---

[1] ابن كثير، ابن كثير: إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1996م، جـ4، ص: -420.

[2] سورة النساء، الآية: 48.

[3] ابن جرير الطبري: أبو جعفر محمد ابن جرير ابن يزيد الطبري، تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: محمد أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 2000م، ج -7، ص: 475.

[4] سورة الزمر، الآيتان: 62- 63.

[5] ابن جرير الطبري، مرجع سابق، ج -5 ص: 41- 42.

[6] سورة النساء، الآية: 31.

[7] الذهبي: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، تحقيق: أحمد الزغبي، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص: 111.

[8] البخاري، مرجع سابق، كتاب الديات، باب قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ المائدة:32، حديث رقم: 6507.

[9] ينظر: ابن القيم، مرجع سابق، ص: 614.

[10] ينظر: محمد إسماعيل الشهيد، تطهير الإيمان من مداخل الشيطان، ترجمة: عبد الوحيد الرحماني، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1985م، ص:58.

[11] سورة طه، الآية: 117.

إنّ غواية الشيطان للإنسان تكمن في إظهار الباطل في صورة الحق، وتزيين القبيح بصورة حسنة، وخداع الشيطان للإنسان إنما هو نوع من أنواع الجهل الذي يتصور فيه الإنسان الفاسد صحيحا والرديء جيدا[1]، والشيطان يؤثر في الإنسان بقدر ما يهيئه له من الأسباب، ويزداد تمكّن الشيطان من الإنسان عندما تقل يقظته وتكثر غفلته.

ومن أبرز المظاهر الملموسة ظاهرة التكبر على خلق الله، وذلك بتكبر الإنسان على أخيه الإنسان، والدافع الأكبر للتعالي بين الناس غالباً ما يكون سببه الغرور والخيلاء والتعالي[2]، فافتخار الشيطان بنفسه هو السبب في سقوطه وطرده من رحمة الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[3]، وتتجلى عداوة الشيطان للإنسان أيضا في صورة أشد ضررا، وهي تزيين الأفعال؛ فهو يزين للإنسان الشر ويبعده عن طريق الخير، ويغذي في نفسه نوازع الطمع والغرور والتسلط، ويدفعه إلى الظلم والفسوق والعصيان، وكل نقيصة في السلوك الإنساني القويم؛ كون الإنسان يمثل وجهين متناقضين – كما أراد سبحانه وتعالى- وهما الخير والشر.

وسنحاول في هذا الجزء تقديم تطبيقات عملية تسهم في الإجابة على إشكال هذا البحث الذي ذكرناه في المقدمة، والعمل على تقصّي جذور الشر في الواقع الاجتماعي إجمالا، مع التركيز على الوضع الليبي الراهن.

إن نوازع الشر فيما يتصل بعلاقة الإنسان بمحيطه الاجتماعي متولدة عن عدم تقبل الآخر، ومن أبرز مداخل الشيطان لزرع الشقاق بين الناس هو صراع الهويات؛ فالهويات والإنتماءات والعصبيات تمثل العامل الجوهري في خلق النزاعات، وإن شدة الاعتزاز بالنفس والانشغال الزائد بتميزها وتفوقها هي مدخل من مداخل غواية الشيطان، فالهوية عندما تبرز كشاغل فكري واجتماعي في غير السياق الطبيعي، فحتما يتولد عنها الشقاق والشرور والفتن؛ فالبشر خلقهم الله سبحانه وتعالى مختلفون جنسياً وعرقياً ومذهبياً ليتعارفوا، لكن التمايز العرقي والمذهبي والطائفي وغيره يقود إلى نشوب النزاعات والصراع بمختلف أشكاله بين الناس[4].

هذه المسألة تستمد جذورها من وعي وإدراك الناس، فإن الإنسان يكون أقل انشغالاً بكافة أنواع العصبيات العرقية والطبقية والجهوية وغيرها إذا عرف حقيقة وجوده ووظيفته في الحياة التي خُلِق لها؛ وهي عبادة الله وحده، وخلافة الله في الأرض، وإعمار الكون.

وتقتضي مقاومة الشر العمل من أجل تبني قيم فكرية واجتماعية وثقافية، يكون جوهرها البعد عن كل مظاهر الطغيان والتكبر والاستعلاء على الناس، مثل: إزدراء الآخر، والتفاخر بالأنساب، والتمايز بالأموال، وعوضا عن ذلك النظر في أبرز قيمة جاء بها الإسلام في أصول المعاملات، وهي قيمة الكرامة الإنسانية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[5]، ومفهوم كرامة الإنسان يعني ارتباط حق الإنسان بحق غيره باحترام متبادل، وإفساح المجال لثقافة الآخر، والبعد عن عقلية السيطرة والامتلاك، والعمل على التعاون على البر وفعل الخير بين بشر متساوين لا تمييز بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح، والحرص على أداء وظيفة الإنسان في هذه الدنيا كما أمر بها الخالق البارئ، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[6]، أما أفضلية العرق، وأفضلية الطبقة، وأفضلية الجنس وأشباهها من المعايير فإنها تقود للتفرق والتنازع والتشتت، وتسوّغ للجهوية والمناطقية والإقليمية الضيقة، «فالشيطان – لعنه الله- يذكي نار الفتنة من مداخل كثيرة، كتأجيج الصراع بعصبية الهوية الجهوية، أو تصور اختلاف الفكر أو المعتقد أو الأعراف، أو الطرق على مظالم الماضي وإذكاء جراحاته، وما إلى ذلك من المداخل»[7]، والتاريخ القديم والمعاصر يشهد أن أكبر المذابح والإبادات والجرائم ضد الإنسانية وقعت في ظل سيطرة الطغاة والمتعالين والمتكبرين، والأمر يتطلب العمل من أجل المساواة بين الأفراد والجماعات حقوقياً وسياسياً واجتماعياً، وتحقيق العدالة التي تعني مقاومة الميز العنصري والعرقي والمادي وغيره، وكل ما يوقعه الإنسان من ظلم على غيره بكافة صوره وأشكاله.

وتتعدد الأسباب التي تغذي ظاهرة الصراع بين البشر، سواء داخل المجتمع الواحد أو بين المجتمعات والدول المختلفة، فمن هذه الأسباب التنافس المادي غير الشريف، وصراع النفوذ السياسي أو الاجتماعي، ونظرة التفوق العرقي أو القبلي أو الجهوي، وهذه أسباب منشؤها نظرة وضعية، بينما الرؤية الربانية للصراع والمبينة في

[1] ينظر: ابن الجوزي: جمال الدين أبي الفرج الجوزي البغدادي، تلبيس إبليس، مرجع سابق، ص: 36.
[2] ينظر: المرجع نفسه، ص: 116.
[3] سورة: الأعراف، الآيات: 10-12.
[4] ينظر: رمزي المنياوي، الفوضى الخلاقة: الربيع العربي بين الثورة والفوضى، دار الكتاب العربي، دمشق، ط1، 2012م، ص: 28.
[5] سورة الإسراء، الآية: 70.
[6] سورة القصص، الآية: 77.
[7] مصطفى عثمان اسماعيل، إدارة النزاعات بين الإسلام والغرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2014م، ص:57.

القرآن الكريم والسنة النبوية تشير بكل وضوح إلى طبيعة الصراع في أنه صراع بين الخير والشر، وأنه نتاج عدوان الباطل على الحق، وأن الشيطان الرجيم ووساوسه من أكبر المؤثرات في السلوك الإنساني[1].

ومن يتأمل الواقع المعاصر يجد أنه يؤكد الرؤية القرآنية، فالعدوان على الدول والشعوب والمآسي والحروب ليس لها مبرر ولا أسباب سوى الهيمنة والسيطرة والاستيلاء، وهذا الواقع لا علاج له وفقا للنظرة الوضعية، لأنها خارجة عن الحسابات والمقاييس الدقيقة القائمة على مرجعية ثابتة وصالحة.

ومحاولات هيمنة الشر على الخير بتأثير من الشيطان الرجيم وذريته وأعوانه وجنده عرفتها البشرية منذ بدء الخليقة، وهي حالة مستمرة متواصلة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ويمكن أن نذكر أمثلة منها كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومنها على سبيل المثال: وسوسة الشيطان -لعنه الله- لسيدنا آدم عليه السلام مما كان السبب في خروجه من الجنة، وتأثيره على ابن آدم (قابيل)، مما طوعت له نفسه قتل أخيه (هابيل) في سابقة إجرامية في تاريخ الإنسانية لقتل نفس من غير حق، وتسلطه على كفار قريش في معاداتهم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ فقد كذّبوه وسخروا منه، واتهموه بأنه ساحر ومجنون، وحاولوا تأليب أبناء عمومته عليه، وقاموا بحصاره وتجويعه، ثم محاربته ومواجهته بقوة السلاح، وفي هذه الأمثلة دلالة على وقوع أنواع من الشر النابع من وساوس الشيطان وتأثيره وغواياته.

وقد بيّن القرآن الكريم حقيقة هذه الدوافع، فقال عز وجلّ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2]، وهذه الوساوس والدسائس تمثل حقيقة الصراع الدائر بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، وهذا الصراع يحسم لصالح أهل الحق إن عزموا على ذلك، قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[3].

ولبيان غواية وتأثير الشيطان اللعين على كثير ممن يتعاطى الشأن السياسي، فإننا نشير إلى أن من يتصدى للشأن العام وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية يتوجب أن يكون صادقا ورعا يخشى الله ويتقيه، وإن السياسة العادلة هي وضع رؤية من أجل تحقيق أهداف لصالح عموم الناس، وهذا الأمر يقوم على عقل جمعي، ومؤسسات مترابطة تعمل وفق نظم محددة يعرف من خلالها الاختصاصات والمسؤوليات، والحقوق والواجبات؛ ولكي تنجح هذه المؤسسات وفقا للرؤية الإسلامية ينبغي أن يكون العمل رائده الخير، ولا يكون هناك مبررا لفعل الشر مهما كانت الأسباب، ويتوجب مراعاة ذلك في الشأن السياسي بصفة عامة شأنه شأن أي تصرف أو سلوك إنساني، ولكن واقع الحال يخبرنا بأن من ثوابت السياسة ومفارقاتها التحول والتقلب وفقا للأطماع والمصالح، وهذا يكشف بشكل جلي طبيعة العمل السياسي، والخداع الذي يمارسه الساسة إجمالا من أجل السيطرة والهيمنة التي تستهدف تحقيق ما يرونه أهدافا لهم تخدم المصالح الضيقة، أو ما يتصور أنه المصلحة العليا للبلاد والعباد، ومثل هذه التحولات والتقلبات التي صارت من طبيعة العمل السياسي تكشف عما يمكن وصفه بالتوظيف السياسي لمفهوم الشر، وهو أمر واضح في واقع العملية السياسية التي تستهدف النيل من الآخر إذا تصادم أو تعارض أو عرقل مصلحة من يتصدى للشأن السياسي.

وقبل أن نتناول الحالة الليبية فإنه يمكن لنا أن نضرب أمثلة معاصرة لنماذج تمثل توظيف الشر في الشأن السياسي، فقد استخدم رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق (رونالد ريجان) في عقد الثمانينيات من القرن الماضي مصطلح (إمبراطورية الشر) إبان فترة ما عرف بالحرب الباردة والصراع المحتدم بين المعسكر الغربي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، والمعسكر الشرقي بزعامة الإتحاد السوفيتي قبل انهياره[4]، والأمر تجدد مع الرئيس الأمريكي الأسبق (جورج بوش الابن) في العقد الأول من هذا القرن، ولكن بأسلوب مختلف نسبيا، حين استعمل مصطلح (محور الشر) في نظرته للدول التي لا تخضع لسياسات دولته، حيث يتم إدراج دولا من قبل دوائر صنع القرار في الإدارة الأمريكية في هذا المحور تبعا لمواقفها، ولعل مما يعزز الفكرة التي نشير إليها بشأن التوظيف السياسي لمفهوم الشر تغير الدول التي يشار إليها بمحور الشر حسب المصالح السياسية، فهو متأرجح تبعا للمصالح الآنية والمباشرة؛ فقد يضم دولا معينة في فترة زمنية، وأحيانا يضم دولا جديدة، وأحيانا أخرى تُحذَف دول، وهو تصنيف يكشف عن أن من يدخل في محور الشر هم خصوم الولايات المتحدة الأمريكية، والمعيار الذي يحكم هذا التصنيف هو مدى الانصياع أو التعارض مع المصالح السياسية للدول[5]، ومثال أخير نسوقه في هذا الشأن هو ما دأبت عليه الإدارة الأمريكية في السنوات الأخيرة في خلق بؤر للنزاعات

---

[1] ينظر: محمد إسماعيل الشهيد، تطهير الإيمان من مداخل الشيطان، مرجع سابق، ص: 31.

[2] سورة البقرة، من الآية: 215.

[3] سورة الأنبياء، الآية: 18.

[4] ينظر: عبد الحي يحي زلوم، إمبراطورية الشر الجديدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، منشور الكترونيا على الرابط التالي: https://www.goodreads.com/book/show/10997081

[5] ينظر: رمزي المنياوي، مرجع سابق، ص: 21.

الوطنية والإقليمية تحت ما عرف بمصطلح (الفوضى الخلاقة) الذي بسببه اصطنعت أحداثا دامية، ومؤثرة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا في عدد من الدول الأفريقية والأسيوية ودول من أمريكا الجنوبية[1].

ومؤدى ما سبق أن الدول يحكمها بالأساس اعتبارات مصلحية صرفة، وأنه لا مجال للقيم الإنسانية في العلاقات سواء كانت بين الدول، أو بين الدولة الواحدة ورعاياها أو من له علاقة بها، فالخير أو الشر ليس من محددات السياسة التي يتعاطاها المتصدرون للعمل السياسي؛ فالقيم الإنسانية –وفقا لهذا المنهج- مرتبطة بالسلوك الشخصي والتعامل بين الأفراد، وكل التدخلات الدولية في شأن أي دولة لا يكون من أجل الخير والفضيلة، وإنما يرتبط بأهداف سياسية نفعية خالصة.

بهذا الفهم ينبغي التعامل مع ما يعرضه التاريخ القديم والمعاصر من أحداث وتطورات في الواقع الليبي المعاصر، فبمعاينة أحوال السياسة وأحوال كثيرين ممن يتصدرونها في الواقع الليبي المعاصر، يتبيّن لنا أن السياسة على الإجمال لها تأثيرات من وساوس الشيطان وغوايته، فالعديد ممّن يتعاطون الشأن السياسي عند الولوج لها لأول مرة بنية صادقة في الإصلاح وخدمة البلاد والعباد يجدون أنفسهم في شباك الشيطان وغواياته؛ فبمجرد أن يضطلعوا بمهامهم، وبمرور الزمن يبدأ التشبث بالاحتفاظ بالمناصب، وعدم الرغبة في تداول السلطة، والحرص على جمع الأموال، والأخطر من ذلك أن تصل الأمور إلى الاعتقاد أنهم عباقرة ومميزون، وقادرون وحدهم دون غيرهم على إدارة شؤون البلاد، وأن لا أحد يقوم مقامهم، وأنهم سلطان الله في الأرض، وأن الوطن بعدهم لا تقوم له قائمة، ومصيره الدمار والضياع.

ففي ليبيا ينطبق تمام الانطباق ما ذكرنا في الفقرة السابقة، وهي البلاد التي عانت كثيرا من أحداث مؤلمة، والتي لا تزال تعاني الانقسام السياسي وصراع النفوذ والتدخلات الأجنبية – ونسأل الرحيم الكريم أن يرفع كل بلاء-[2]، وهو ما يرسم المشهد الليبي المعاصر بكل الأبعاد.. سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، وفي هذا المقام نذكر بأن مواقف سياسية مشابهة حدثت عقب قيام دولة ليبيا الحديثة في أوائل الخمسينيات من القرن الميلادي المنصرم، وإن كانت ليست بهذه الحدة رغم الظروف الاقتصادية والمعيشية شديدة الصعوبة؛ إذ لم يكن لهذه الدولة الوليدة مقومات الدولة من حيث الموارد المالية، وشاء الله أن يهب لها ثروة (النفط) عقب قيامها بسنوات قليلة فانتعشت الحياة، وظهر البناء والعمران، وتحسن كثيرا الوضع الاقتصادي للبلاد والعباد[3]؛ ومع ذلك لم تشهد البلاد تنمية حقيقية وتطورا ملموسا، لأسباب عديدة لا تسمح طبيعة هذا البحث بتناولها، وإن كاد واقع الحال لا يختلف كثيرا عن ما مضى من زمن، فالوضع الراهن لا يخفى على أحد؛ سلطات تشريعية متعددة، وحكومات تتنازع الشرعية، ومؤسسات سيادية مشتتة، وعدد لا يُحصى من الجماعات (المؤدلجة) والمُسلحة والإجرامية، وتضمّ هذه التيّارات عددا من المتنفذين والنفعيين، وهي تيّارات وجماعات تخوض في كل القضايا التي تشغل البلاد، وبفعل الحضور الإعلامي الممنهج، والقدرة على التأثير في الرأي العام من خلال العلاقات مع شبكة من الدوائر الإعلامية الداخلية والخارجية؛ فإن هذه التيّارات والجماعات تعمل على التركيز على قضايا بعيْنها؛ من أجل دعم (أجندات) فكرية وسياسيّة تخدم مصالحها، والنتيجة الطبيعية هي استعانة كل طرف بمجموعاته وتحالفاته، بالإضافة إلى القوى الدولية المؤثرة في صراعه مع الأطراف المنافِسة، والتي يمكن أن نوجزها في صراع عنيف على السلطة والثروة والنفوذ.

والمراوغة والزيغ ليست بالأمر المستغرب في عالم السياسة، بل هي من طبيعة العمل السياسي[4]، وهي واضحة جلية في ما يدور من صراع مسلح وخلافات فكرية في ليبيا؛ ذلك أنه من المعتاد أن يتحالف الساسة والإعلاميون عير وسائل الاتصال والصحافة والإعلام؛ وتصور هذه الوسائل أعمال المجموعات والتيارات المتحالفة معها كانتصارات مذهلة، وإنجازات خارقة، وهذا ما فيه تجنّ على الواقع، واستهزاء بالعقول، ذلك إن هذه (الجوقات) الإعلامية والصيحات السياسية ما هي إلا نزغة من نزغ الشيطان الرجيم؛ وعلى سبيل المثال قد يرسل السياسي للمتلقي أو الشعب رسالة عبر وسيلة إعلامية أو منتدى صحفي ببرنامجه السياسي وما لديه من خطط وبرامج يستهوي بها المتلقي، وغالبا ما تكون خطط احتيالية قائمة على انتهازية بحتة، ويكون حينها للضخ الإعلامي صولته، ذلك أن ما يجمع هذه الأجسام هو النظرة السلطوية المصلحية، غير الراغبة في مجرد التفكير فيما من شأنه التغير إلى الأفضل، فلهذه الجماعات والتحالفات قاسم مشترك – كما ذكرنا في الفقرة السابقة- هو التشبث بالزعامة والسلطة، وبالتالي لا يمكن تصوّر ما يفيد البلاد والعباد، لأنّ مجرد التصوّر يهدّد وجودهم، ومصالحهم، وامتيازاتهم.

هذه لمحة مختصرة عن الواقع السياسي في ليبيا، تناولناه بشكل مجرد، بعيدا عن أي توجه، ووفق معايير موضوعية؛ ليتأكد لنا مدى تأثير وساوس الشيطان وغواياته في كل ما يدور في واقعنا.

---

[1] المرجع نفسه، ص: 9.

[2] للتذكير أن فكرة وبداية كتابة هذا البحث جاءت من رحم المعاناة التي عاصرناها وعاشتها ليبيا إبان الاقتتال الداخلي بين الليبيين عامي 2019 و2020م، والتي بحمد الله انتهت، ونسأل الله أن يكون هذا الاقتتال آخر صراع ونزاع وحرب.

[3] ينظر: مصطفى أحمد بن حليم، صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، لندن، 1982م، ص: 157.

[4] ينظر: رمزي المنياوي، مرجع سابق، ص: 30.

الخاتمة

نبين في هذه الخاتمة الأفكار التي طرحت في هذا البحث المتواضع، والتي حاولنا من خلالها توضيح تأثيرات الشيطان الرجيم –أعاذنا الله منه-، مع التسليم بأن هذا أمر غاية في الصعوبة، ويتطلب موضوعية في الطرح والإثبات، ولكن نزعم أنّا اجتهدنا، وما التوفيق إلا من الله –سبحانه وتعالى-، والنتائج التي توصلنا إليها نوجزها في الآتي:

أولا:

إن الله سبحانه وتعالى ميز بني آدم بالعقل دون سائر مخلوقاته، فالأجدر بالإنسان أن يستخدمه في أوجه الخير، ولا يكون عونا للشيطان على ارتكاب الذنوب والمعاصي.

ثانيا:

إن تأثير وساوس الشيطان وغواياته في كل ما يدور في واقعنا أمر جلي واضح من خلال ما نعايشه من مواقف وأحداث على الصعد كافة، وإن كان إلقاء اللوم على الشيطان دون اكتراث بإرادة الإنسان في العزم على السير في طريق الحق والخير أمرا فيه من التواكل كثيرا.

ثالثا:

إن الشيطان –أعادنا الله منه- ترصد للأنبياء والرسل وحاول بشتى الطرق إضلالهم، فكان لزاما على الإنسان أن ينظر في نفسه، وهو غير المحصن كيف أن الشيطان الذي تربص بالرسل والأنبياء عليهم السلام وحاول إغواءهم لا يؤثر على الإنسان الذي خلق ضعيفا.

رابعا:

الاتعاظ من حكاية الشيطان –لعنه الله- كما وردت في القرآن الكريم حين تحدى الله –سبحانه وتعالى- وأعمل فكره المجرد دون الوقوف عند قدراته المحدودة، حين اعتبر نفسه أفضل من آدم، بالنظر إلى مادة خلقه التي هي النار، والتي هي أفضل من مادة خلق آدم التي هي الطين، وكانت النتيجة لعنة الله عليه وطرده من رحمته سبحانه وتعالى.

خامسا:

إن المبالغة في قدرات الإنسان على تغيير نفسه ومحيطه، والنظرة المثالية للحياة بالحسابات المادية، ونسيان أو تجاهل غواية الشيطان يضعف قدرة الإنسان على فهم الحياة والتعامل معها كما أرادها الله جلت قدرته.

سادسا:

إن الثقة المطلقة في النفس والإفراط في الاعتزاز بالذات تقود إلى التكبر، وهو التفكير الذي يحيد عن الطريق القويم، وهو الذي قاد الشيطان الرجيم إلى لعنة الله عليه والملائكة والناس أجمعين.

سابعا:

إن القيم الإنسانية وفقا للسياسة والساسة مرتبطة بالسلوك الشخصي والتعامل بين الأفراد، والتدخلات الدولية غالبا في شأن أي دولة لا يكون من أجل الخير والفضيلة، وإنما يرتبط بأهداف سياسية نفعية خالصة، ولا مبالاة بشر يُدفَع أو خير يُجلَب.

ثامنا:

إن الثقافات العامة السائدة عاجزة عن تقديم حل بسبب سيطرة النزعات السطحية من جهة، والمصالح المادية الصرفة من جهة أخرى، كما أن هناك خلاف كبير في الثقافات الإنسانية حول مفهوم الشر، وهو بدون شك خلاف جوهري يؤجج أزمة معرفة الشيطان والتعامل معه، ومن هنا جاءت رسالة الإسلام لتبين الهدى من الضلال والخير من الشر.

ونسأل الله -سبحانه وتعالى- حسن الختام، وأن يحفظنا من الشرور والآثام، وصلى الله علي سيدنا محمد النبي الكريم، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية قالون عن نافع، دار الفخر الإسلامي، دمشق وبيروت، ط3، 1436هـ - 2014م.

1. أسفار التوراة والإنجيل (الكتاب المقدس)، ترجمة العالم الجديد، النسخة العربية (مترجم عن النسخة الانجليزية المنقحة)، نيويورك، 1984م.

2. الألوسي: أبو الثناء شهاب الدين محمود الحسيني الألوسي، *روح المعاني* في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المكتبة التجارية، القاهرة.

3. البخاري: الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار عالم الكتب، بيروت، 1982م.

4. بطرس عبد الملك وآخران، قاموس الكتاب المقدس، منشور الكترونيا على الرابط التالي: https://www.alarabimag.com/books/1845h

5. ابن جرير الطبري: أبو جعفر محمد ابن جرير ابن يزيد الطبري، تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: محمد أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م.

6. ابن الجوزي: جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن الجوزي البغدادي، تلبيس ابليس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001م.

7. أبو الحسن الأشعري: علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، الإبانة في أصول الديانة، المطبعة المنيرية، القاهرة.

8. رمزي المنياوي، الفوضى الخلاقة..الربيع العربي بين الثورة والفوضى، دار الكتاب العربي، دمشق، ط1، 2012م.

9. سامي سعيد الأحمد، الأصول الأولى لأفكار الشر والشيطان، بغداد، مطبعة الجامعة، ط1، 1970م.

10. سعاد عمر عبد الحي مشهور، كيد الشيطان من خلال آيات القرآن الكريم: دراسة موضوعية، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، 1429هـ - 2008م.

11. الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت.

12. عباس محمود العقاد، إبليس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013م.

13. عبدالحي يحي زلوم، إمبراطورية الشر الجديدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، منشور الكترونيا على الرابط الآتي: https://www.goodreads.com/book/show/10997081

14. الغزالي: أبو حامد بن محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.

15. فتحي مسكيني، الشيطان في الديانات السماوية: الصورة والرمز: دراسة مقارنة في الأديان، دار الحكمة للطباعة والنشر، القاهرة، 2014م.

16. فوزي محمد حميد، عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 1991م.

17. القرطبي: شمس الدين أبو عبدالله محمد الأنصار الخزرجي، تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق لجنة من كبار المحققين، دار الكتب المصرية، القاهرة.

18. ابن القيم: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية، التفسير القيم لابن القيم، ت. محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1949م.

19. ابن كثير: الحافظ اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1996م.

20. محمد إسماعيل الشهيد، تطهير الإيمان من مداخل الشيطان، ترجمة: عبد الوحيد الرحماني، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1985م.

21. محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة.

22. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، تحقيق: أحمد الزغبي، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

23. مصطفى أحمد بن حليم، صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، لندن، 1982م.

24. مصطفى عثمان اسماعيل، إدارة النزاعات بين الإسلام والغرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2014م.

25. مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: هيثم تميم وآخر، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001م.

Satan -may God protect us from him- in Religions (and its contemporary influence)

Dr. Mohamed Iwhida Ahmed Iwhida

Key words:

Satan -may God protect us from him-. Religions. Influence**.** Contemporary Issus.

Abstract:

This research aims to raise fundamental questions about the Satan's influences -may God protect us from him- on the people and societies, and the projection of these effects on the Libyan situation.

Satan -may God protect us from him- since God Almighty expelled him from his mercy; Because of his refusal to command the Almighty to prostrate to Adam -peace be upon him-.

Satan-may God protect us from him- uses various methods in order to achieve his goals, including: Spreading panic sedition and intrigue, and spreading sins and vices.

The aim of the research also study contemporary tragedies and catastrophes we are experiencing which mostly due to Satan’s temptation and misguidance due to weak faith and ambitions in this life and its adornment.